

## أنقذوا اللهجات الكوردية، الفيلية نموذجاً!

فهيمي كاكهيي

اللغة تولد و طالما تستخدم فهي تعيش، لكن اللغة و خاصة اللغات الصغيرة معرضة للموت أيضاً، فإذا كان هذا حال اللغات فكيف يكون الحال مع اللهجات؟ اللهجات أكثر تعرضاً للموت و خصوصاً اللهجات المحلية الصغيرة التي لا تعتبر لغة رسمية و بالتالي فهي ليست لغة المدرسة و المؤسسات و الإعلام.

تولد اللغات الجديدة من بطن لغة أخرى نستطيع أن نسميها (اللغة الأم)، و للتوضيح فاللغات السويدية و النرويجية و الدنماركية و الأيسلندية و الفيرية(1) هي لغات ولدت من بطن لغة واحدة و هي الشمالية القديمة أو الجرمانية الشمالية، و بولادة هذه اللغات ولدت قوميات جديدة، فكل لغة من هذه اللغات مملوكة من قبل قومية مستقلة. إن هذا إنذار خطير لنا نحن الكورد حيث إن هناك خطر إنفراط القومية الكوردية مستقبلاً إلى قوميات عديدة إذا لم نقم بإقرار و إستعمال لغة موحدة رسمية تكون لغة الدراسة و الأدب و الحكومة بمؤسساتها و دوائرها و إعلامها الرسمي و المستقل، لكن اللغة الموحدة ليس موضوع بحثنا هذا.

اللغة كما أشرنا سابقاً تموت، و ذلك عندما تطغي عليها لغة أخرى قوية و بذلك يقل إستعمالها من قبل الناس و بموت آخر إنسان يتكلمها تموت تلك اللغة أيضاً، و كمثال على ذلك:

اللغة الكورنية كانت تستعمل من قبل سكان منطقة (كورن و ال) في جنوب إنكلترة، لكن اللغة الإنكليزية ضيقت عليها الخناق فترك الناس التكلم بها و بدأوا بإستعمال الإنكليزية لكي يتمكنوا من التواصل مع جميع سكان إنكلترة. آخر من تكلمت هذه اللغة كانت امرأة مسنة بإسم (دوللي بينترايث)، و قد ماتت يوم 22 من شهر ديسمبر 1777 عن عمر يناهز 102 عاماً و بموتها ماتت اللغة الكورنية(2).



إنه من الصعب تحديد عدد اللغات في العالم (العدد التقريبي هو ستة آلاف لغة)، و السبب يعود إلى الإجابة على السؤال التالي و الذي يبدو سهلاً: ما هو الفرق بين اللغة و اللهجة؟ و لكي لا ندخل في التفاصيل نقول بأن لهجات اللغة الواحدة هي أشكال أو بدائل مختلفة يتكلم بها الناس من الذين تجمعهم لغة واحدة، فأهل البصرة مثلاً يتكلمون بشكل يختلف بعض الشيء مع أهل الموصل أو اللهجة الشامية تختلف عن اللهجة المصرية أو البغدادية و بهذا نستطيع أن نقول بأن هناك المئات من اللهجات العربية، هذه ليست مشكلة بتاتا بالنسبة إلى العرب فهم تفرقهم اللهجات لكي تجمعهم لغة القرآن و هي اللغة العربية الفصحى، إذن هناك لغة مشتركة للتفاهم، لكن كيف الحال مع اللغة الكوردية؟

هناك تقسيمات و تصنيفات لغوية و جغرافية عديدة للهجات اللغة الكوردية، نعتمد في هذه المقالة على التقسيم الذي أورده آية الله الشيخ محمد مردوخ الكوردستاني في كتابه تاريخ كرد و كردستان(3)، و هو كالآتي:

1. الكرمانجية
2. الگورانية
3. اللرية
4. الكلهرية

هذا التقسيم يطابق ما ذهب إليه المؤرخ الكوردي مير شرفخان البديسي (1543 - 1603م)، (4) التقسيمات أعلاه تصنف اللهجات الكوردية في أربعة مجاميع كما هو مبين، فعلى سبيل المثال تنقسم المجموعة الكرمانجية الى: الكرمانجية الشمالية و الكرمانجية الجنوبية، و الشمالية تضم لهجات فرعية متعددة، كما هو الحال مع الجنوبية، و هذا ينطبق على المجاميع الأخرى.

من الجدير بالذكر إنه في أغلب الأحيان يتعرض الفرد الكوردي إلى مشكلة التفاهم باللهجات المختلفة، و إتقان كل اللهجات الكوردية أمر من قبيل المستحيل، لكن تعلم اللهجات الكبيرة ليس أمرا صعبا إذا ما توفرت العوامل الموضوعية و الذاتية لدى الفرد، و غالبا ما نرى بأن الكورد الذين يتقنون لهجات كوردية كثيرة هم من الذين يتكلمون أساسا بلهجة صغيرة (كلغة الأم). إن هذه المقالة المتواضعة لا تسع للدخول في خصوصيات اللهجات الكوردية، لكنني أستطيع أن أقول إنه مع الصعوبة بمكان التفاهم بين ناظقي اللهجة الهورامية كمثل و ناظقي الكرمانجية سواء كانت الشمالية أو الجنوبية إذا تكلم كل لهجته، مع هذا يبقى الإنتماء القومي واحدا، هذا ما يشعر به الناظقين باللهجات الكوردية على أية حال.

لكن كيف نستطيع أن نجمع بين إدعاءاتنا في السعي إلى توحيد اللغة الكوردية من جهة و الإهتمام باللهجات المختلفة من جهة أخرى، هل ندع اللهجات الكبيرة أو قل واحدة منها تطغي و تسيطر على اللهجات الصغيرة فتموت هذه الأخيرة لكي تدفن في مقبرة اللغات؟ الجواب: كلا بالعكس تماما، فاللهجات تعتبر روافد للغة الرسمية و خصوصا اللغة الكوردية التي تمر بفترة عصبية (لا ندخل في تفاصيلها). حسنا، هل نهتم باللهجات الصغيرة قدر إهتمامنا باللهجات الكبيرة؟ هل ندع أطفالنا يدرسون هذه اللهجات لتتحول مستقبلا إلى لغات مستقلة؟ نحن الذين لا نملك كتابا مقدسا للغالبية المطلقة لنجعل لغته لغة رسمية؟

إن وجود كتاب ديني مقدس بلغة القوم يعتبر أمرا هاما جدا لتوحيد اللغة، كما هو الحال بالنسبة إلى اللغة العربية. قس على ذلك فالكرمانجية الشمالية فضلا عن أنها لهجة الغالبية العظمى من الكورد، إلا أنه حتى لو لم تكن كذلك فإن حظها في الديمومة أكثر بكثير من اللهجات الأخرى و السبب يرجع إلى أن الكتب المقدسة للإيزيديين مكتوبة بهذه اللهجة، و الحال هو كذلك مع لهجة (ماجو) و التي هي لهجة فرعية من لهجة الگوران الكوردية، حيث أن هذه اللهجة هي لغة الكتب المقدسة لدى الكاكانيين و بها يؤدون طقوسهم و مراسمهم الدينية و هذا سبب مهم لديمومة اللهجة، يقابلها لهجة (الزنكنة) و التي هي قريبة من لهجة الماجو، لكن بما أن المتكلمين بهذه الأخيرة هم مسلمون فقد تركوها شيئا فشيئا و بدؤا بإستعمال الكرمانجية الجنوبية بدلا منها، فاليوم لا تصادف إلا المسنين من عشيرة الزنكنة الذين يتكلمون بهذه اللهجة. مع ذلك فالخطر هنا ليس كبيرا لأن هناك لهجات أخرى قريبة من لهجة الزنكنة و تملك أسباب البقاء و الديمومة، منها: الهورامية، ماجو، الباجلانية، الشبخانية، الشبكية الكوردية و غيرها من مجموعة الگورانية.

### أين الخطر؟

هناك مخاطر على العديد من اللهجات الكوردية و التي قد تؤدي مستقبلا إلى إنقراضها، أكثر هذه اللهجات تعرضا للإنقراض في المستقبل هي اللهجة التي يتكلم بها الإخوة من الكورد الفيليين (نقصد حصرا الكورد الفيليين من العراق)، و التي تندرج تحت المجموعة الثالثة أعلاه و هي اللورية. المخاطر أو أسباب الإنقراض المستقبلي لهذه اللهجة هي:

1. إنه و بحكم الإحتكاك المباشر لهذه الشريحة بالقومية العربية كون الغالبية منهم يعيشون خارج إقليم كردستان، يجعل منهم أكثر الكورد تعرضا للوقوع تحت تأثير اللغة و بالتالي الثقافة العربية على حساب اللغة و الثقافة الكوردية. حيث أن لغة المدرسة هي عربية، كذلك لغة السوق و المحلة و لغة الإعلام و الدوائر و المؤسسات الحكومية، كل هذا يجعل من هذه الشريحة أن لا تولي أهمية كبيرة للغة الأم بإعتبارها لغة غير رسمية، مما يؤدي إلى تحولهم شيئا فشيئا إلى لغة الحاكم أو الحكومة التي تطغي على لهجتهم و على كل المستويات.

2. الإنتماء المذهبي لهذه الشريحة و الذي يختلف عن الإنتماء المذهبي للغالبية الكوردية له تأثير حتى إن كان ضعيفا على الحس القومي، و ضعف الحس القومي يؤدي بالتالي إلى ضعف الإهتمام باللغة القومية.

3. إن ترك التكلم باللهجة الفيلية أكثر خطورة من ترك التكلم باللغات الصغيرة الأخرى المستعملة في كردستان، ذلك لأن المتكلمين باللغات الأخيرة سوف يتحولون إلى التكلم بلهجة كوردية أخرى و غالبا ما تكون اللغة الكوردية الرسمية، بينما في حالة ترك التكلم باللهجة الفيلية و بحكم كون المتكلمين بها يسكنون خارج المنطقة الكوردية فإنهم بدو شك سوف يتحولون إلى التكلم باللغة العربية.

4. التمييز و الإحساس بالغبين الذين قد يشعر بهما مجموعة من المنتمين إلى هذه الشريحة و عدم إهتمام المسؤولين الكورد بهم بما فيه الكفاية، يؤدي إلى ضعف الحس القومي.

5. السكن في المدن الكبرى و بالذات بغداد و عدم وجود ريف كوردي كرافد لهذه اللهجة.

6. الشعور باللائمة، نتيجة لعدم قبولهم كمواطنين عراقيين و طردهم من العراق بتهمة التبعية الإيرانية و عدم قبولهم في إيران بتهمة التبعية العراقية، الذي بدوره يؤدي إلى عدم الإستقرار و التعرض لطغيان لغات أجنبية مما يؤدي إلى إضعاف لغة الأم.

7. هجرة الكثيرين منهم نتيجة الإضطهاد القومي و الطائفي إلى بلدان العالم و إنتشارهم فيها بدءا من أستراليا و إنتهاءا بأمريكا و تمركزهم في أوروبا، يؤدي إلى وقوع أطفالهم تحت تأثير لغات و ثقافات أجنبية مختلفة مما يكون سببا في التقليل من إستعمال لغة الأم و بالتالي تركها بعد جيلين أو أكثر.

8. الشعور بخيبة الأمل التي تنتاب الكثيرين منهم نتيجة عدم الوفاء بالوعد التي تعطيها لهم الإدارة و المؤسسات الكوردية.

9. عدم وجود برامج إذاعية و تلفزيونية بهذه اللهجة يجعلهم يحسون بعدم إكتراث الآخرين بهم و خصوصا حكومة إقليم كردستان.

10. عدم وجود المجالات و كتب الأطفال و القصص و حتى المقالات بهذه اللهجة و التي إن وجدت عملت على تقوية و ترسيخ الشخصية و الثقة بالنفس و الإحساس بالإنتماء القومي لدى أفراد هذه الشريحة و التي بأجمعها تؤدي خدمات كبيرة للهجة هذه الشريحة.

إن قسما كبيرا من النقاط الواردة أعلاه يمكن العمل على إيجاد حلول منطقية لها بغية التقليل من الأخطار المستقبلية المحدقة باللهجة الفيلية، و لعل تفعيل توصيات مؤتمر أربيل للكورد الفيليين الذي أقيم برعاية السيد مسعود البارزاني رئيس الإقليم، هي خطوة جيدة و هامة في هذا الطريق.

بقي أخيرا أن ألق بمقالتي المتواضعة هذه قصة للأطفال مترجمة من اللغة السويدية إلى اللهجة الفيلية ضمن واجب مدرسي كنت قد أعطيته لواحدة من تلامذتي في الصف السادس الابتدائي من الذين يدرسون لغة الأم (الكوردية)، و طبعت في المدرسة على شكل كتيب صغير.

ملاحظة: هذا نوع من الواجبات التي يؤديها التلاميذ الذين يدرسون اللغة الكوردية لدي، أشرف على العمل دون أن أتدخل أو أصح كثيرا، لكي لا أجعلهم يشعرون بأن الترجمة لم تكن بجهدهم الشخصي و أنه لو لاي لما تمكنوا منها، لذا من الطبيعي أن تكون هناك نواقص لغوية لكن هذا لا يهم، المهم هو الثقة و الإعتراف الكبيرين اللذان يشعران بها التلاميذ بعد إنتهاء عملهم، و كم هو رائع عندما يحصل التلاميذ على بعض النسخ لأهداءها إلى الأهل و الأقرباء و خصوصا الجدة أو الجد الذين ربما يعيشان في الوطن أو في بلد آخر.

### خرس بچویک چه بکاته وهری؟ (5)



دنیا سهرده.  
تهماشاکه! بهرف نهیه..  
بهرفه چهرمیگهله له ناسمان نهینه خوار.  
خرس بچویک وهت:  
- مامان! دنیا فره سهرده، م سهردمه و هیچ بلووزی نهیرم.



نیگل دانگ خرسه نیشته و وهت:  
- ته ماشا که جگه ره کهم، بی نهیه بکه وهرت،  
خه یال نه که ی نهیه چهس؟



خرس بچویک وهت:  
- فکر کهم نهیه کلاویکه.  
نه نه میه سه رم، نیگل دی سه ردم ناویت.  
نه لان نه چه ده ر و بازی نه کهم.



به عد نهز چند دقیقه خرسه هاته ناو.  
 دالگی سوئال کرد:  
 - چه نهخوازی؟  
 خرس بچویک وهت:  
 - سهردمه، فقهت بهرف نهواری و بهرف نهواری و سهرده.  
 م نهخوازم چشتن تر بکهم وهر.



نیگل دالگی چووی چاکهتن نه برای هورد و وهت:  
 - یه گهرم و خوشه، وه خرسه بچویگهکهم نهیهت.  
 خرسه بچویگه فره خوشحال بی و وهت:  
 - نهه، چ قهد رهنگینه!  
 نه لان دی سهردم نادئ.  
 نیگل چویه دهر و بازی کرد.



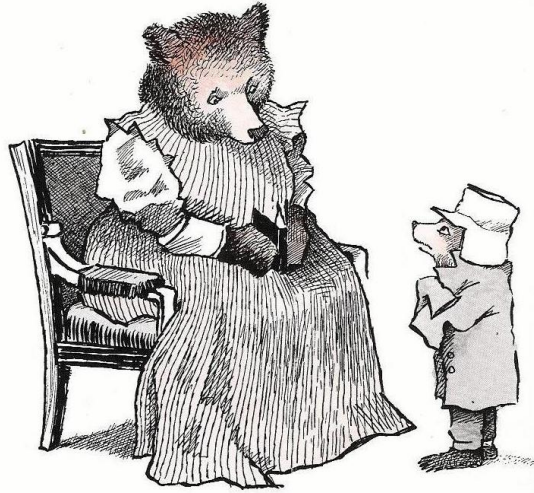
خرسه بچویگه هم هاتهو.  
دالگی وهت:  
- نه لان چهده؟  
خرسه بچویگه وهت:  
- سهردمه، م یه چشتی تر لازم دیرم.

دالگی عهجهله داشت.  
چووی قهچی و نهخ و سوزن هاورد.  
عهجی مهجی یا تهرهجی،  
یه چشتی خهیلی گهرم نهرا خرسه بچویگه که  
دووراند و وهت:  
- بفهرمه، یه بکه وهرت. تا سهردت نهدی.

خرسه بچویگه وهت:  
- نوه، یه شهروان خوه، نه لان تهمام بهدتم گهرمه.  
ئیگل چویه ناو بهرفه.



خرسه هم هاتهو.



دالگی وهت:

- گوش بده، تون خودا!

نه لان دی چه نهخوازی؟

خرسه بچویگهکه وهت:

سه ردمه، م یه چشتی تر لازم دیرم بکهمه وهر.



دالگی وهت:

خرس بچویک، تو کلاو دیری،

چاکهت دیری، شهروال دیری،

شایه دیه پوستی هم نهخوازی.



خرسه بچویگه وهت:  
- نا، م یه پۆستی نهخوازم.

ئیگل دالگی کلاوهکهی برد،  
چاکهت و شهروالهکهی برد و وهت:  
- بفرمه ها نهیه پۆست.

خرسه بچویگه وهت:  
- چ پۆست رهنگینی!  
نهلان دی سهردم نادئ.



ئیگل له ناو بهرفه بازی کرد،  
بدون که یه زهره سهردی بدئ.  
وه فکر تو یه چوین بی؟

تیکست: نیلسه هولملوند میناریک  
وینهکان: ماوریکه سینداک  
گورینی له سویدییهوه: سومهیه سروشه  
سهرپهرشتیی: فههمی کاکهیی  
قوتابخانهی: سنترال سکولان له فالشوپینگ - سوید  
بههاری: 1998

الهوامش و المصادر:

1. الفيرية، نسبة إلى سكان جزر (فير) التي تقع بين النرويج و آيسلنده. اللغة الرسمية لهذه الجزر هي الفيرية و الدنماركية، عدد السكان: 48344، أنظر باللغة السويدية:  
<http://sv.wikipedia.org/wiki/F%C3%A4r%C3%Barna>
2. Språk, vad är det, Millan Bily & Gertrud Malmberg, Almqvist & Wiksell, Printed in Sweden by Gummessons tryckeri, Falköping 1996, sidan 19
3. تاريخ كرد و كردستان و توابع (بالفارسية) الصفحة 41، تأليف شيخ محمد مردوخ كردستاني، جلد 1 و2، ناشر كتابفروشى غريقى - سندانج
4. له بايتم ميژووى ئهدهبى كوردييهوه، الصفحة 87 ، دكتور مارف خهزنهدار، بهغدا 1984، المؤسسة العراقية للدعاية و الطباعة
5. Lilla björn, text: Else Holmelund Minarik, Bild: Maurice Sendak, Svensk text: Jadwiga P Westrup, En bok för alla från Litteraturfrämjandet. Tryckt i Ungern 1988